شعراء الوطنية

٣ - البـارودى

(١٨٣٠ — ١٩٠٤)

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

محمود سامى البارودى هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة ، وباكورة الأعلام فى دولة الشعر الحديث ، وأول من نهض به وجارى فى نظمه فحول الشعراء المتقدمين ؛ فبعث النهضة

فتركت للمسرح روعة الحوار ، وأنس الحديث ، واختصت بسرعة الحركة والإشارة ، والوفاء بالمشاهد والمناظر ، فكان « للسينما » فن خاص بها ، وللمسرح فن خاص به ... فأما الآن وقد نطقت « السينما » وغلبت المسرح على أمره فيما كان من خاصة شأنه فقد وجب أن ننحو بالمسرح نحوا جديدا يجنبه عنف ذلك الفن الآلى القادر فنخص المسرح بموضوعات تخلو من عناصر الموضوعات السينمائية التى تعتمد على سرعة الحركة ، وكثرة الأشخاص ، ووفرة المواقف والمناظر ، وفخامة الملابس والأشياء المعروضة ... ولتكن مناظر المسرح ومواقفه وملابسه أقرب شئ إلى الرمز حتى لا ينافس « السينما » فى مجال هى صاحبة الغلبة فيه على أية حال

وعلينا أخيرا أن نؤمن بأن المسرح ليس إلا مظهرا للفن ، وأن الفن جوهر يتطور مظهره ويتغير ؛ فهو بالأمس مسرح ، وهو اليوم «سينما» وقد يكون فى الغد القريب أو البعيد شيئا غير «السينما» . وغير المسرح جميعا ... فلنكف من غلوائنا فى تقدير المظاهر ، مادام الفن فى جوهره بخير

محمود تيمور

الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود

كانت نشأته علمية حربية . تخرج من المدرسة الحربية وبدت عليه سليقته الشعرية وهو بعد فى عهد التلمذة . وانتظم بعد تخرجه فى سلك المناصب المدنية ثم العسكرية وخاض غمار الحروب فى ثورة كريد سنة ١٨٦٦ . وفى الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ ، فصقلت المعارك مواهبه الشعرية

وكان من زعماء الثورة العرابية . وتولى رآسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢ . ثم كانت الهزيمة . ونفى مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل فى منفاه نيفا وسبعة عشر عاما . وأسبغ عليه النفى سمات التضحية والبطولة .

الحنين إلى الوطن

كانت حياة الزعماء فى منفاهم حياة ألم وحزن . إذ انقطعت صلتهم بالناس . وطال اغترابهم عن أرض الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم . ولم يكترث لهم أحد . ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب !) وجادت قريحة البارودى بشعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن . والحزن على فراقه ، مما يعد آية فى البلاغة . وبلغت سليقته الشعرية فى منفاه ذروة العظمة والجلال

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المهـا منى
فشبت ولم أقض اللبانة من سنى
عناء وبأس واشتياق وغربة
إلا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن

إلى أن قال :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبرى أن يعود فعزنى ونادبت حلمى أن يثوب فلم يئن
وما هى إلا خطوة ثم أقلعت
بنا عن شطوط الحى أجنحة السفن

فكم مهجة من زفرة الشوق فى لظى
وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه
فلما دهتنى كدت أقضى من الحزن
ولكننى راجعت حلمى وردنى
إلى الحزم رأى لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل
لما قرعت نفسى على فائت سنى

الصبر على الشدائد

وتجلت فى منفاه صفاته العالية من الشمم وعلو النفس واحتمل آلام النفى بشجاعة وإباء . وصبر وإيمان . وله فى ذلك شعر يفيض بهذه المعانى السامية

قال وهو فى سرنديب (سيلان) :

لم اقترف زلة تقضى على بما أصبحت فيه فاذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلما واغترب ؟
فلا يظن بى الحساد منقصة
فانى صابر فى الله محتسب
أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت
أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفسا وهى عالية
ولا يشيد بذكر الخامل النشب (١)

وقال مشيرا إلى مصادرة أملاكه :

يا ناصر الحق على الباطل خذ لى بحق من يدى ماطلى
أخرجنى عما حوته يدى من كسبى الحر بلا ناطل (٢)
من غير ماذنب وى سمنطق ذى رونق كالصارم القاطل (٣)
فإن أكن جردت من ثروتى
ففضل ربى حلية العاطل

(١) النشب المال والعقار (٢) الناطل الشىء القليل
(٣) القاطل القاطع

وقال من قصيدة أخرى فى مقاومة الظلم والصمود أمام المحن والخطوب :

إذا المرء لم يدفع يد الجور أن سطت
عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
أخر عليه من حمام يؤده
وأقتل داء رؤية العين ظالما
يسىء ويتلى فى المحافل حمده
علام يعيش المرء فى الدهر خاملا
أيفرح فى الدنيا بيوم يعده ؟
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش
بها بطلا يحمى الحقيقة شده

ومن قوله فى الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد :

فيادموع القطر سيلى دما ويا بنات الأيك نوحى معى
وأنت يا نسمة (وادى) الغضا مرى برياك على مربعى
وأنت يا عصفورة المنحنى بالله غنى طربا واسجعى
وأنت يا عين إذا لم تفى بذمة الدمع فلا تهجعى
أبيت أرعى النجم فى سدفة ضل بها الصبح فلم يطلع
فهل إلى الأشواق من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع
لا تأس يا قلب على ما مضى
لا بد للمحنة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال فى منفاه يتمنى أن يرى مصر :

يا حبذا جرعة من ماء محنية
وضجعة فوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كشميم الخلد قد حملت
ويا الأزاهر من ميث وأجراع (٤)

(٤) الميث جمع ميثاء الأرض اللينة

يا هل أراني بذاك الحي مجتمعا
بأهل ودي من قومي وأشياعي ؟

وقال في هذا المعنى :

أبيت حزينا في (سرنديب) ساهرا
طوال الليالي والخليون هجد
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة
نزت بين قلبي شعلة تتوقد
شباب وأخوان رزئت ودادهم
وكل امرئ في الدهر يشقى ويسعد

وقال أيضا في منفاه :

ردوا على الصبا من عصري الخالي
وهل يعود سواد اللمة البالي ؟
ماض من العيش مالاحت مخايله
في صفحة الفكر إلا هاج بلبالي
أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال
لاعيب في سوى حرية ملكت اعنتي عن قبول الذل بالمال
قلبي سليم ونفسي حرة ويدي مأمونة ولساني غير ختال
بلوت دهري فما احمدت سيرته في سابق من لياليه ولا تالي
حلبت شطريه من يسر ومعسرة
وذقت طعميه من خصب وإمحال
لم يبق لي أرب في الدهر أطلبه الا صحابة حر صادق الخال
وأين أدرك ما أبغيه من وطر
والصدق في الدهر أعيا كل محتال
لا في (سرنديب) لي إلف أجاذبه
فضل الحديث ولا خل فيرعى لي
أبيت منفردا في رأس شاهقة مثل القطامي فوق المربأ العالي
إذا تلفت لم أبصر سوى صور في الذهن يرسمها نقاش آمالي
علام اجزع والأيام تشهد لي
بصدق ما كان من وصمي وأعفالي
راجعت فهرس آثاري فما لمحت
بصيرتي فيه ما يزري بأعمالي
فكيف ينكر قومي فضل بادرتي
وقد سرت حكمي فيهم وأمثالي
أنا ابن قولي وحسبي في الفخار به
وإن خدوت كريم العم والخال
ولي من الشعر آيات مفصلة تلوح في وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ويهتدي بسناها كل قوال
فانظر لقولي تجد نفسي مصورة
في صفحتيه فقولي خط تمثالي
ولا تغرنك في الدنيا مشاكلة بين الأنام فليس الذئب كالغال
إن ابن آدم لولا عقله شبح مركب من عظام ذات أوصال

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر .

خليلي هذا الشوق لا شك قاتلي
فميلا إلى (القياس) إن خفتما فقدي
في ذلك (الوادي) الذي أنبت الهوى
شفائي من سقمي وبرئي من وجدي

وقال في هذا المعنى :

طال شوقي إلى الديار ولكن
أين من (مصر) من أقام (بكندي)[1]
حبذا (النيل) حين يجري فيبدي
رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون في حافتيه
كالعذاري يسحبن وشي الفرند
قلدتها يد الغمام عقودا هي أبهى من كل عقد وبند
كيف لا تهتف الحمام عليه وهي تسقى به سلافة قند
كلما صورته نفسي لعيني قدح الشوق في الفؤاد بزند

وإلى العدد القادم حيث أتم الحديث عن البارودي وشعره الوطني

(٤) كندي مدينة صغيرة في جزيرة سيلان (سرنديب)

عبد الرحمن الرافعي